

الجزر (ذوق) وتصريفاته بين الدلالة المعجمية ودلالة السياق القرآني

أ.م.د أحمد جعفر داود
جامعة واسط/ كلية التربية

م.م. هاني كنهر عبد زيد
المديرية العامة لتربية واسط

الخلاصة

يسعى هذا البحث إلى القيام بقراءة سياقية للجزر (ذوق) وتصريفاته في القرآن الكريم مبتدئاً بتحديد الدلالة اللغوية لهذا الجذر وتطورها في المعالجم العربية، ثم عرض الاستعمال القرآني له وبيان دلالاته السياقية.

يجري هذا البحث ضمن مبحثين، يعنى الأول بعرض تمهيدي لبيان الدلالة اللغوية للجزر (ذوق) وتصريفاته في المعالجم العربية، ويعنى الآخر بالكشف عن دلالة الاستعمال القرآني ومقاصدها، وتصنيفه على سياقات خمس، العلم، والرحمة، والعذاب، والجوع، والموت. والبحث يعرض النكات القرآنية في استعمال هذا الجذر دون غيره من البدائل، واستعمال أحد تصريفاته في تلك السياقات دون غيرها وفق مبدأ (الاختيار والتوزيع)، وهو يكشف عن رؤية سياقية جديدة في تفسير قصة النبي آدم عليه السلام.

Abstract

This research seeks to conduct a contextual reading of the root (Taste) and its declensions in the Holy Qur'an beginning with determining the linguistic significance of this root and its development in the Arabic dictionaries, and then presenting the Qur'anic usage of it and indicating its significance using context. This research is carried out in two sections. The first is a preliminary presentation of the linguistic significance of the root (Taste) and its declensions in the Arabic dictionaries. The other is concerned with revealing the significance of the Qur'anic usage and its purposes and classifying it in five contexts: science, mercy, suffering, hunger and death.

The research presents the "Qur'anic Jokes" in using this root without any other alternatives, and using one of its declensions in these contexts only; according to the principle of (Selection and Distribution). It reveals a new contextual vision in interpreting the story of the Prophet Adam (Peace be upon him).

المقدمة

لقد أوقف كثير من العلماء والباحثين أعمارهم خدمة للقرآن الكريم، وبذلوا جهودهم في سبيل الكشف عن أسرارهِ، وبيان معانيهِ، للوقوف على سرِّ اعجازه؛ فوقفوا أمامه حائرين لا يعرفون سرَّ ذلك الاعجاز أ في معانيهِ العميقة، أم في ألفاظهِ، أم في تراكيبه وأساليبه، وهيهات أن يحيط باحثٌ بأسرار القرآن الكريم ويوفي حقَّه مهما بلغ علمه غير أنَّ الدرس اللغوي القرآني له مذاقٌ خاصٌ يدفع الباحث إلى التعمُّق فيه محاولاً الوقوف على سرِّ استعمال لفظ دون آخر في سياق لغويٍّ دون آخر.

ومن بين تلك الألفاظ الذي طالما أعجبنا أن نخوض في عمق دلالتها في الاستعمال القرآني الجذر (ذوق) وتصريفاته، إذ من المعلوم والمعروف أنَّ تصنيفات هذا الجذر تختصُّ بالتطعم، وجاء هذا البحث بمحاولة اكتشاف قراءة سياقية معاصرة لها، وبعد متابعة الاستعمال القرآني تبين أنَّه يرد في سياقات لغوية متنوعة يكون فيها المعنى العام له (الاحساس بالشيء وتجربته)، فجاء هذا البحث ليعرض السياقات اللغوية للجذر (ذوق) وتصريفاته وتطوُّرها في المعاجم العربية، ثمَّ الخوض في دلالة الاستعمال القرآني ومقاصدها، وعرض النكات القرآنية في استعمال هذا الجذر دون غيره من البدائل، واستعمال أحد تصنيفاته في سياق قرآني معيَّن دون غيرها على وفق مبدأ (الاختيار والتوزيع)، وجاء هذا البحث ليحمل عنوان: ((الجذر (ذوق) وتصريفاته بين الدلالة المعجمية ودلالة السياق القرآني))؛ وبعد جمع المادة من بطون المعاجم العربية، واستخراج ألفاظ الذوق من القرآن الكريم، وتحديد دلالاتها على وفق السياقات التي وردت فيها، وتقسيمها على مجموعات مرتبطة دلاليًّا، وتبويبها، جاء البحث على الشكل الآتي:

- المقدمة.
- المبحث الأول: دلالة الجذر (ذوق) وتصريفاته في المعاجم العربية.
- المبحث الثاني: دلالة الجذر (ذوق) وتصريفاته في السياق القرآني:
- أولاً: (ذوق) في سياق العلم.
- ثانياً: (ذوق) في سياق الرحمة الإلهية.
- ثالثاً: (ذوق) في سياق العذاب.
- رابعاً: (ذوق) في سياق الجوع والخوف.
- خامساً: (ذوق) في سياق الموت.

وقد تتوّعت مصادر البحث ومراجعته، إذ تقف كتب تفاسير القرآن الكريم في مقدمتها فهي الأساس الذي تستند إليه هذه الدراسة.

وأما المصادر الأخرى فيمكن تصنيفها على صنفين؛ الأول: معاجم اللغة قديمها وحديثها. والثاني: الدراسات السياقية واللغوية والدلالية الحديثة.

المبحث الأول: دلالة الجذر (ذ و ق) وتصريفاته في المعاجم العربية.

لعل المتأمل في المعاجم العربية وطريقة معالجاتها للمفردات وبيان معانيها يجدّها غالباً ما تعتمد على الاستعمال اللغوي الفعلي للغة؛ أي: أنّ المعجميين قد اعتمدوا كثيراً في توجيه معنى المفردة في الاستعمال اللغوي الذي ترد فيه، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ العمل المعجمي عمل سياقيّ يوضح معاني المفردات من خلال السياق الذي تردّ فيه.

وفي بيان ذلك يقول الدكتور هادي نهر: ((يمكن عدّ صنيع المعجميين العرب القدامى في أكثر أوجهه وصفاً للاستعمال الفعلي للغة، وهذا الوصف مستنداً إلى ملاحظاتهم للسياق أو المقام الذي تجري فيه اللغة نشاطاً تواصلياً، حيث لا يمكن الوقوف على دلالة بعض نصوصه الإبداعية، من غير الاحاطة بالظروف التاريخية أو الاجتماعية أو السياسية أو الدينية، أو الأعراف والتقاليد والأذواق التي أحاطت به والحيّز الزمني والمكاني الذي أنتج فيه، أو اكتنف لحظات ابداعه وهو حيّز مقامي حالي أساساً))^(١).

وهذا لا يعني أنهم اعتمدوا على السياق وحده في تحديد معاني المفردات، بل تعددت وسائل تحديد المعنى عندهم، ومن أهم تلك الوسائل حسب ما ذكره الدكتور عبد الله درويش الآتي^(٢):

- ١- التفسير بالمغايرة ويكون غالباً من خلال توضيح اللفظ بلفظ نقيض له.
- ٢- التفسير بالترجمة ويكون بشرح المعنى بكلمة واحدة أو كلمات متعددة.
- ٣- التفسير بالمصاحبة ويكون بتوضيح اللفظ من خلال الألفاظ المصاحبة الملازمة له، إذ إنها جزء من معناه الأساس.
- ٤- التفسير بالسياق لغوياً كان أم مقامياً حالياً.

فالسباق - كما تقدم - واحد من تلك الوسائل التي استعملها المعجميون في تحديد المعنى؛ إذ إنّ المعجمي يلاحظ كلّ كلمة في سياقها الذي ترد فيه، ثم يستخلص من هذه الأحداث الواقعية العامل المشترك العام ويسجله على أنه المعنى العام للكلمة، فهو يجمع عدداً من السياقات التي ترد فيها الكلمة، وحينما يتوقف أيّ جمع آخر للسياقات عن اعطاء أيّ معلومات جديدة يأتي الجانب العملي فيصبح المجال مفتوحاً أمام المعجمي لبيان المعنى العام للكلمة، ولهذا فإن المنهج

السياقي والمنهج التحليلي المعجمي ليسا متضاربين، بل هما خطوتان متتاليتان في الاتجاه نفسه^(٣).

ولو تصفحنا المعاجم بحثاً عن المعنى اللغوي للجر (ذوق) وتصريفاته نجد شرحاً لمعانيه وتبياناً لها من خلال أمثلة سياقية من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب نظماً ونثراً؛ لأن المعاجم أنفسها لا تقوم إلا على شواهد تبيّن معنى اللفظ في السياق^(٤).

وإذا ما أردنا أن نحصر السياقات التي سيق بها الجر (ذوق) وتصريفاته في المعاجم نجدها وردت على النحو الآتي:

- يقال: ذَوَاقُهُ ومَذَاقُهُ طَيِّبٌ؛ أي: طعمه^(٥)، وذَاقَهُ ذَوْقاً وذَوَاقاً ومَذَاقاً ومَذَاقَةً: اختبر طعمه وأصله فيما يقل تناوله، فإن ما يكثر من ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: الأَكْلُ^(٦).
- ما نزل بك مكروه فقد ذُقَّتْهُ^(٧)،
- الذَّوْقُ: مباشرة الحاسة الظاهرة، أو الباطنة، ولا يختص ذلك بحاسة الفم في لغة القرآن، ولا في لغة العرب^(٨).
- في الحديث: (إن الله لا يحب الذواقين والذواقات)^(٩)؛ يَغْنِي السَّرِيعِي النِّكَاحُ السَّرِيعِي الطَّلَاقُ، أي: كلما تزوجا كرها مداً أعينهما إلى غيرهما، فلا يطمئن ولا تطمئن، كلما تزوج أو تزوجت كرهاً وطمحا إلى غير الزوج^(١٠). ورجل ذَوَاقٌ: مُطْلَاقٌ: إذا كَانَ كَثِيرَ النِّكَاحِ كَثِيرَ الطَّلَاقِ^(١١). والذواق: الملول^(١٢).
- وَمِنْهُ الْحَدِيثُ (كَانُوا إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ لَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ)^(١٣) ضرب الذواق مثلاً لما ينالون عنده من الخير؛ أي: لا يتفرقون إلا عن علم وأدب يتعلمونه يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسامهم^(١٤).
- وَفِي حَدِيثٍ أُحَدِّثُ (إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ لَمَّا رَأَى حَمْرَةً مُقْتُولًا مُعْفَرًا قَالَ لَهُ: ذُقْ عُقْقُ) أي: ذق طعم مخالفتك لنا وتركك دينك الذي كنت عليه يا عاق قومه؛ فجعل إسلامه عقوقاً^(١٥).
- وَفِي الْحَدِيثِ: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)^(١٦) فَأَخْبَرَ أَنَّ لِلْإِيمَانِ طَعْمًا، وَأَنَّ الْقَلْبَ يَذُوقُهُ، كَمَا يَذُوقُ الْفَمُ طَعْمَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ فَعَبَّرَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) عَنِ إدْرَاكِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ وَحصولِهِ لِلْقَلْبِ ومباشرته له بالذَّوْقِ^(١٧).
- ذُقْتُ فَلَانًا، أي: خَبَرْتُهُ وَبُزَّتُهُ^(١٨).
- اسْتَدَقْتُ فَلَانًا إِذَا خَبَرْتَهُ فَلَمْ تَحْمَدْ مَخْبَرَتَهُ^(١٩). وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٢٠):

وعهدُ الغانيات كعهد قَيْنٍ وَنَتْ عَنْهُ الْجَعَائِلُ مُسْتَذَاقٍ

- يُقَال: ذُقْ هَذَا الْقَوْسَ، أَي: انزِعْ فِيهَا^(٢١)، وذقت القوس، إذا جذبت وترها لتخبر لينها وشدتها^(٢٢).
- ذاق الرجل عسيلة المرأة: إذا أولج فيها أدافه حتى خبر طيب جماعها وذافت هي عسيلته كذلك لما خالطها فوجدت حلاوة لذة الخلط^(٢٣).
- أذاق فلان بعدك سروا؛ أي: صار سريا، وأذاق بعدك كرما، وأذاق الفرس بعدك عدوا؛ أي: صار عداء بعدك.
- يُقَال: ما ذقت ذواقا؛ وهو ما يذاق من الطعام^(٢٤).
- ما ذقت ذواقا؛ وهو ما يذاق من الطعام^(٢٥).
- تَذَوَّقْنَاهُ؛ أي: ذقته شيئا بعد شيء^(٢٦).
- أمر مستذاق، أي مجرب معلوم^(٢٧).
- الذَّوْقُ عند العارفين: منزلة من منازل السالكين أثبت وأرسخ من كل منزلة الوجد.
- ويقال: ما ذقت غماضا، وما ذقت في عيني نوما.
- ذاقتها يدي، وذافت كفي: إذا مستها.
- يقال: ذيق كذبه، وخبرت حاله.
- ويقال: استذاق الأمر لفلان: انقاد له.
- ولا يستذيق لي الشعر إلا في فلان.
- تذوقت طعم فراقه^(٢٨).
- الذَّوْقُ العامّ: مجموعة تجارب الإنسان التي يُفَسِّرُ على ضوءها ما يُحسُّه أو يُدركه من الأشياء^(٢٩).

فيلحظ مما سبق أن اللغويين قد وظّفوا الجذر (ذوق) وعرضوه في سياقات متنوعة، و حاولوا في كل سياق أن يحددوا المعنى المعجمي له، وهذا يدلّ على أن اللغويين قد تنبهوا إلى السياق ووظيفته في تحديد معنى المفردة في مرحلة مبكرة من حياة التأليف اللغوي، ثم نجد تلك السياقات والمعاني تتطور بتقدم الزمن فكلما قرأنا معجماً لاحقاً نجده قد أضاف معنًى سياقياً آخر للجذر (ذوق) غير أنهم اتفقوا على أن المعنى المعجمي العام للفعل هو (اختبار الشيء وامتحانه وتجريبه)، وليس المراد به اختبار الشيء من جهة تطعم فقط، إذ قيل: ((الذوق: مباشرة الحاسة الظاهرة، أو الباطنة، ولا يختص ذلك بحاسة الفم في لغة القرآن، ولا في لغة العرب))^(٣٠)، وهذا ما

ذكر في توضيح معنى الجذر (ذوق)؛ لأنه بمعناه العام لا ينحصر بذوق معين، بل هو شامل لكل ما يدرك معنوياً كان أم حسياً، والذي يحدد ذلك السياق الذي يرد فيه.

إلا أنه لما كثر استعماله -في غير القرآن- مع حاسة الذوق حصره بعضهم بمعنى التطعم، وعدّ المعاني السياقية الأخرى مجازية؛ يقول ابن فارس: ((الذال والواو والقاف أصل واحد، وهو اختبار الشيء من جهة تطعم، ثم يشتق منه مجازاً فيقال: ذقت المأكول أدوقه ذوقاً. وذقت ما عند فلان: اختبرته. وفي كتاب الخليل: كل ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه. ويقال ذاق القوس، إذا نظر ما مقدار إعطائها وكيف قوتها))^(٣١).

والحق أن تلك المعاني معان سياقية فرضها السياق؛ إذ إن المعنى المعجمي للفظ معنى عام متعدد، وتلك المعاني برزت من خلال القرائن السياقية التي تعين على فهم المعنى وتوضيحه^(٣٢)؛ لأن مقصود المتكلم من إيراد اللفظ يتضح من خلال السياق الذي وضعه فيه، ولم يكن الجذر (ذوق) في أصل وضعه لما يؤكل فقط.

وهذا يدفعنا إلى القول إن المعجم لا يفي بتحديد وحصر دقيق لدلالة المفردة على وفق السياقات المتنوعة، ولا يعد ذلك نقصاً في المعجم العربي؛ لأنه يعنى بإيراد المعنى المشترك أو العام الذي ينشعب إلى مجموعة الاستعمالات الجزئية التي تتباين وتتغاير بعدد السياقات التي ترد فيها. وإن الفروق بين معاني اللفظ الواحد تتسع وتضيق إلا أنها تبقى موصولة بالأصل الذي يرجع إليه، لذا ليس في وسع كل معجم أن يورد كل دلالة سياقية لأنه يتحول عندئذ إلى أعمدة من الألفاظ التفسيرية التي لا تكاد أن تنتهي؛ لأن المتكلم يضيف باستمرار كثيراً من الألوان^(٣٣).

وخلاصة ما تقدم أن الجذر (ذوق) يتمتع بدلالة معجمية حقيقية، إذ يكون بإطاره المعجمي العام بمعنى (اختبر الشيء وامتحنه وجربه)، وقد تنقلص دلالاته في السياق فتتحدد باللسان فقط ومنه ذاق الطعام أي: اختبره، وقد تتوسع تلك الدلالة لتشمل معاني أخر يفرضها السياق لكنه يبقى موصولاً بمعناه العام.

المبحث الثاني: دلالة الجذر (ذوق) وتصريفاته في السياق القرآني

أولاً: (ذوق) في سياق العلم.

اختلف المفسرون في توجيه بعض العناصر السياقية التي من شأنها أن تبوح بدلالة الجذر (ذوق) في قوله تعالى: ﴿فَدَلَاهُمَا يُعْرِورُونَ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ {الأعراف/٢٢}؛ وأول تلك العناصر (الشجرة) التي مُنِعَ آدم (عليه السلام) من الاقتراب منها.

وقد اختلفوا في تحديد ماهية الشجرة فمنهم من يرى أنها السنبلة^(٣٤)، ومنهم من يرى أنها الكرم^(٣٥)، ومنهم من يرى أنها العنب^(٣٦)، وذكر بعض المفسرين أن ((في الجنة شجرة لها غصنان، أحدهما تطوف به الملائكة، والآخر قوله: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين يعني من الملائكة الذين يطوفون بذلك الغصن))^(٣٧).

وأورد الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) نقلاً عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ((أن شجرة الجنة تحمل أنواعاً وكانت شجرة الحنطة وفيها عنب ليست كشجرة الدنيا وإن آدم لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاده ملائكته له وبإدخاله الجنة قال في نفسه هل خلق الله بشراً أفضل مني فعلم الله عز وجل ما وقع في نفسه فناداه ارفع رأسك يا آدم وانظر إلى ساق عرشي فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة فقال آدم يا رب من هؤلاء فقال عز وجل: هؤلاء من ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء والأرض فأياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك عن جوارِي فنظر إليهم بعين الحسد وتمنى منزلتهم فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهي عنها وتسلط على حواء فنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم فأخرجهما الله تعالى عن جنته وأهبطهما عن جواره إلى الأرض))^(٣٨).

إلا أن السياق يستلزم أن يكون المقصود بها شجرة العلوم التي تمكّن ذائقها من (معرفة الخير والشر)^(٣٩)، ولعل ما يثبت ذلك أن الشجرة وردت في القرآن بمعانٍ متنوعة منها المادية، ومنها المعنوية، ومن الأولى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ {الفتح/١٨}.

ومن الأخرى قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ {إبراهيم/ ٢٤} ، وقوله: ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ {النور/ ٣٥}، وقوله: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ {الإسراء/ ٦٠}

وقد بيّن الفيض الكاشاني أن لبدن الانسان غذاء من الحبوب والفواكه كذلك لروحه غذاء من العلوم والمعارف وكما أن لغذاء بدنه أشجاراً تثمرها فكذلك لروحه أشجار تثمرها ولكل صنف منه ما يليق به من الغذاء .

ولهذا فُسِّرَت الشجرة تارة بشجرة الفواكه وأخرى بشجرة العلوم وكانت شجرة علم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إشارة إلى المحبوبة الكاملة المثمرة لجميع الكمالات الإنسانية المقتضية للتوحيد المحمدي الذي هو الفناء في الله والبقاء بالله، إذن لا منافاة بين الروايات وبين ما قاله أهل التأويل إنها شجرة الهوى والطبيعة؛ لأنَّ قريبها إنما يكون بالهوى والشهوة والطبيعة وهذا معنى ما ورد أنها شجرة الحسد فإن الحسد إنما ينشأ منها (فتكونا من الظالمين)^(٤٠).

فضلاً عن أنَّ هذه الشجرة إن لم تكن شجرة العلوم فكيف وصفت بأنها شجرة خلد؟ وأي شجرة من شأنها أن تصيِّرهم ملكين خالدين سواها؟ فالذي يبدو من كل ما سبق أنَّ الشجرة التي مُنِع منها آدم شجرة العلوم.

ويجدر بنا أن نسأل: ما المراد بالسوء؟ وما الرابط بين أكل الشجرة من جهة وظهور السوء من جهة أخرى؟

نقول: إنَّ أكل الشجرة ونزع اللباس أدّى إلى ظهور السوء أو ما وُري منها، أي ثمة جانب غير ظاهر من السوء ظهر لهما، وقد بيّن المفسرون أنَّ المراد بالسوء العورة (العضو الجنسي)؛ قال الزجاج (ت٣١١هـ): ((أي ظهرت لهما فروجُهُما، وإنما السُّوءُ كناية عن الفَرْج))^(٤١)، وقال الماتريدي (ت٣٣٣هـ): ((وسوءاتهما: عورتهما))^(٤٢)، وقال السمرقندي (ت٣٧٣هـ): ((فلما أكلَا من الشجرة ووصل إلى بطونهما تهافت لباسهما عنهما بَدَتْ لهما سَوَاتُهُما، أي ظهرت عوراتهما، وإنما سميت العورة سوءاً؛ لأنَّ كشف العورة قبيح))^(٤٣).

وهذه الأقوال لا رابط بينها وبين ما انتهى اليه البحث؛ إذ لم يكن المراد بالسوء العورة إلا إذا سلّمنا بأنَّ المراد باللباس هو الثياب؛ لأنَّ القرآن الكريم يربط بين الإخراج من الجنة من جهة، ونزع اللباس لغرض إظهار السوء من جهة أخرى، وذلك بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اتِهِمَا﴾ {الأعراف/ ٢٧}. فإذا كان المراد بالسوء العورة فهل يمكن

القول إن آدم وزوجه لا يعرفان عورتهما ولا يريانها وقد عزفهما بها الشيطان؟ كيف وقد ﴿عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ {البقرة/٣١} فضلاً عن أنَّ السوءة ذكرت في القرآن الكريم ولم يُزِد بها العورة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ {المائدة/٣١}، قال الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): ((و أصل السوءة التكره يقال ساءه يسوءه سوءا إذا أتاه بتكرهه))^(٤٤) وذهب صاحب تفسير الأمثل إلى أنها تعني كل شيء يُستاء من رؤيته، ولذلك تطلق أحيانا على جسد الميت، وعلى عورة الإنسان^(٤٥)، ولم تختص بالعورة دون غيرها؛ إذ لو كان المراد منها العورة فما بالك بمجبتها في النص القرآني السالف لتبين سوء الغراب.

لذا يمكن القول إن المراد بالسوءة هنا العيب والنقص والقبح، أي: إنَّهما عرفا قبح ما عملاه، وهذا ما يلمح من سورة الأعراف نفسها التي ذكرت: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ {الأعراف/٢٦} فأشارت إلى أن اللباس هو لباس التقوى وهو الذي يزيل السوءة ولا يغطيها فحسب؛ فإذا ذهب هذا اللباس بدت السوءة، وظهور تلك السوءة متعلق بتذوق الشجرة التي نهاها عنها بطريقة الشرط والجواب.

وقد أشار الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) إلى هذا المعنى إذ قال: ((فإن قيل: فلم بدت لهما سواتهما ولم تكن بادية لهما من قبل؟ ففي ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنهما كانا مستورين بالطاعة فانكشف الستر عنهما بالمعصية.

والثاني: أنهما كانا مستورين بنور الكرامة فزال عنهما بذلك المهانة.

والثالث: أنهما خرجا بالمعصية من أن يكونا من ساكني الجنة، فزال عنهما ما كانا فيه من الصيانة.))^(٤٦).

أمَّا قوله تعالى: ((وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ)) فحين شعر آدم عليه السلام وزوجه بالندم وانتبها إلى ما فعلا من الذنوب من اطاعة الشيطان والثقة به والغرور وذوق الشجرة، ولم يصلا إلى مبتغاهما الذي اغترأ به وهو الخلد أو أن يكونا ملكين كما وعدهما الشيطان بذلك ظهر عليهما الخجل من الله فأخذا يستتران بورق الجنة خجلاً، لأنَّ عملية الخصف لم تختص في النص القرآني بالعورة، ولو كانت كذلك لكان النص: (يخصفان عليهما - المراد السوءة)، وإنما قال: (يخصفان عليهما) فكان التستر بورق الجنة شاملاً لهما؛ لأنَّ الضمير (هما) من الإشارات الشخصية، أو يختص بالوجه منها كما يفهم ذلك من السياق، إذ إن سياق النص يستلزم أن يكونا

في موضع الندم، والندم يقتضي ذلك الخجل الذي دفعهما إلى التستر بورق الجنة، ولم يختص بالعودة دون غيرها، والله أعلم.

ويثبت ذلك ما أردنا توضيحه في دلالة الجذر (ذوق) في السياق القرآني، إذ إن الجذر (ذوق) لم يرد في القرآن الكريم بمعنى التطعم-كما سينتهي إليه البحث-، وأن من ذكر أن المراد بالشجرة هي شجرة السنبلة أو الكرم أو غيرها أراد أن يبين أن الجذر (ذوق) جاء بمعنى التطعم، ويبدو أن المراد بالتذوق هنا التذوق النفسي المعنوي وهو الحصول على ذلك العلم باختصار سلم التكامل، أما الفعل (أكل) فهو الآخر جاء في القرآن الكريم للدلالة على الأكل المعنوي.

وخلاصة ما تقدم أن الجذر (ذوق) في النص القرآني الكريم المتقدم، وبعد تحليل العناصر السياقية، والعناصر المحيطة بالموقف الكلامي والموقف الذي ورد فيه، يحتمل أن يدل على نيل العلم والمعرفة الدقيقة التي تشترك فيها الحواس المادية والمعنوية، ولم يكن المراد منه التطعم المادي الذي حاول بعض اللغويين أن يجعله المعنى الأصلي للفعل، وقد ردّهم أن الجذر (ذوق) لم يرد في القرآن الكريم بالمعنى المادي (التطعم)، وإن ما ورد في سياق (الشجرة) كان المراد منه الذوق المعنوي للعلوم. وأن الشجرة هي العلم الذي نهيا عنه؛ إذ لا يكون نيله إلا بعد المسير في سلم التكامل، وأما السوء فتعني الذنب؛ أي أنهما نزعا لباس التقوى عندما استجابا لوسوسة الشيطان.

ثانياً: (ذوق) في سياق الرحمة الإلهية.

لعل أول ما يلحظ في الجذر (ذوق) في سياق الرحمة واللفظ الإلهي اسناده إلى الذات الإلهية بخلافه في سياق العذاب؛ إذ جاء في الغالب مسندا إلى من يذوق العذاب حتى يكون من فعل يده، فلو تتبعنا الجذر (ذوق) في سياق الرحمة نجده جاء مسندا إلى الضمير العائد إلى الله جلا وعلا، وفي هذه المسألة ما لا يخفى من الإشارة إلى أن الله تعالى هو مصدر الرحمة واللفظ فكل ما يرد في القرآن من رحمة يكون المصدر هو الله تعالى لا غير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ {يونس: ٢١}. فالجذر (ذوق) -كما سيتضح- ورد في سياق الرحمة والعذاب، وكثر مجيئه مع العذاب، إلا أنه في هذه الآية دال على رحمة الخالق، وفي آيات قرآنية أخرى دل على العذاب الإلهي ومن الضروري الإشارة إلى هذه الملاحظة، وهي أن الخالق يوكل النعم إلى نفسه؛ لأن رحمته تقتضي ذلك، بينما يوكل المصائب والابتلاءات إلى البشر؛ لأنها

نتيجة أعمالهم^(٤٧). لذا تجده في سياق العذاب يسند الفعل اليهم في مثل قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ {آل عمران/١٠٦}.

وقد صرح القرآن الكريم بأن الرحمة من الله، فهو سبحانه مصدر الرحمة للعباد، والضرر والسيئات والابتلاءات والمشاكل مما قدّمت أيديهم؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ {الروم/٣٦}.

أما ما يخص المعنى السياقي للجذر (ذوق) في النص القرآني فيجب على الباحث الوقوف على معاني بعض العناصر السياقية لتحديد دلالاته، وأول تلك العناصر لفظة (الرحمة) المقابلة للفظ (الضرر) وقد اختلف المفسرون في تحديد المراد منها على أربعة آراء^(٤٨):

الأول: الرحمة: العافية والسرور، والضرر: الفقر والبلاء.

الثاني: الرحمة: الإسلام، والضرر: الكفر، وهذا في حق المنافقين.

الثالث: أن الرحمة: الخصب، والضرر: الجذب.

الرابع: الرحمة: الرخاء، والضرر: الشدة.

وإذا ما أردنا مناقشة هذه الآراء نستطيع القول إن لفظة الرحمة في النص القرآني يمكن أن تكون حاملة لجميع تلك المعاني التي ذكرها المفسرون، وكذلك الضرر، وبهذا تكون الرحمة عامة شاملة لكل معاني الخير وتقابلها كلمة الضرر التي تكون شاملة لكل معاني الشر.

وكما اختلفوا في تحديد المراد بالرحمة والضرر اختلفوا في تحديد المراد بـ(الناس)، ف قيل هم المشركون، إذ جاء في تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ) في توضيح هذه الآية ((وإذا رزقنا المشركين بالله فرجاً بعد كرب، ورخاء بعد شدة أصابتهم))^(٤٩).

وقيل هم الكفار؛ قال الثعلبي (ت ٤٢٧هـ): ((وإذا أذقنا الناس يعني الكفار رحمة من بعد ضرر مسأئهم))^(٥٠) وأوضح ذلك الطبرسي؛ إذ بين أن المراد بالناس الكفار وهو عموم يراد به الخصوص^(٥١).

ومن المفسرين من ذكر أن المراد بالناس في الآية أهل مكة معتمداً في ذلك على سبب نزول الآية، وذلك أن سبب نزولها: أن رسول الله (ﷺ) لما دعا على أهل مكة بالجذب فحطوا سبع سنين كسني يوسف إجابة لدعوته، أتاه أبو سفيان فقال يا محمد قد كنت دعوت بالجذب فأجذبنا فادع الله لنا بالخصب فإن أجابك وأخصبنا صدقناك وآمنا بك، فدعا لهم واستسقى فسقوا وأخصبوا، فنقصوا ما قالوه وأقاموا على كفرهم^(٥٢)، وهو معنى قوله ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ {يونس/٢١}، وعلى هذا يكون المراد بالناس أهل مكة، والمراد بالرحمة والضرر المطر بعد القحط.

وقد أوضح صاحب الميزان^(٥٣) أن الآية من جهة السياق المتقدم مسوقة للتعريض بالمشركين ومكرهم في آيات الله، والدليل عليه قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ (يونس/٢١)، فقد كان النظر معطوفاً على مكر طائفة خاصة وهم المخاطبون بهذه الآيات؛ إذ كانوا يمكرون بآيات السراء والضراء بعد ظهورها، ومن مكرهم؛ مكرهم في القرآن الذي هو آية إلهية ورحمة أذاقهم الله إياها بعد ضراء الجهالة العالقة بهم وشمول ضنك العيش والذلة والتفرقة وتباعد القلوب وبغضائها لهم وهم يمكرون به.

وبعد توضيح تلك العناصر السياقية يمكن القول إن المراد بالذوق هنا هو اختبار الرحمة أو ادراكها أو اصابتها أو الاحساس بها، فمن المفسرين من فسّر الذوق بالرزق، إذ جاء في تفسير الطبري: ((قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وإذا رزقنا المشركين بالله فرجاً بعد كرب، ورخاء بعد شدة أصابتهم.))^(٥٤). وفسره السمرقندي بالإصابة؛ إذ قال: ((قوله تعالى: وإذا أذقنا الناس، يعني: أصبنا الناس رَحْمَةً))^(٥٥).

ويجدر بنا أن نسأل: إذا كان الفعل ذوق بمعنى (أصاب، أو رزق، أو أدرك) لماذا لم يرد أحد هذه الأفعال في النص القرآني بدلاً عنه؟ وقد وردت في القرآن الكريم في غير موضع، إذ ورد الفعل (أصاب) مسنداً إلى معاني الرحمة واللفظ الإلهي في قوله تعالى ﴿أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ {الحج/١١}، وقوله: ﴿فَتَرَى الْوَنُوقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ {الروم/٤٨}، إلا أنه كثر اسناده إلى العذاب والسيئات كما في قوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ {الزمر/٥١}. أما الفعل (رزق) فقد كثر مجيئه في القرآن الكريم مسنداً إلى معاني الرحمة كقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ {الجاثية/١٦}، وكذلك بقية الأفعال التي فسّر بها معنى الذوق.

نقول: إن الآية جاءت لتبين عادة هؤلاء الأقوام من المكر واللباج والعناد وعدم الإنصاف، إذ كانوا بعد أن يعطوا ما سألوه من إنزال معجزات لا يؤمنون بالله بل ييقنون على كفرهم وجهلهم^(٥٦)، إذ بين سبحانه أنهم طلبوا آية عناداً ومكراً ولجاجاً، وقد أكد ذلك بما ذكره هنا من أنه سبحانه إذا أذاقهم رحمة منه من بعد أن مستهم الضراء فعلوا مقابل هذه النعمة العظيمة المكر منهم في آيات الله؛ إذ وسّع عليهم في الأرزاق وأدرّ عليهم النعم بالمطر والخصب وصلاح الثمار بعد أن مسهم الضر بالجذب وضيق المعاش، فلم يشكروا نعمته ولم يقدروها حق قدرها. بل أضافوها إلى أصنامهم التي لا تنفع ولا تضر وطعنوا في آيات الله واحتالوا في دفعها بكل حيلة^(٥٧).

لذا نجد القرآن الكريم يعبر عن الإصابة بالإذاقة للإيماء إلى التذاذهم بالرحمة وعناية بالقلّة، والتعبير بالرحمة في موضع السراء للإشارة إلى أنها من الرحمة الإلهية، فجاء بالجذر (ذوق) على سبيل المبالغة، والمراد منه إيصال الرحمة إليهم، وذلك أن رحمة الله تعالى لا تذاق بالفم، وإنما تذاق بالعقل، وذلك يدل على أن القول بوجود السعادات الروحانية حق^(٥٨).

ومما يلفت النظر هنا أن الفعل (مسّ) قابل الفعل ذوق في أغلب الآيات التي جاءت في سياق الرحمة؛ مما يشير إلى طرافة الاستعمال القرآني لكلمتي (أذقنا) و(مسّه) اللتين تعنيان أنّهم مع قليل جداً من إقبال الدنيا عليهم يتغيرون وينسون ويصابون بالغرور، و مع (مسّه) قليلة من ضرر أو بلاء يصابون باليأس والقنوط. فالتعبير بـ (مسّ الناس ضرّاً) إشارة إلى أصابتهم بقليل من الضرر، كما أنّ التعبير (أذاقهم منه رحمة) إشارة إلى بلوغ شيء من النعمة^(٥٩).

فضلاً عن أنّ استعمال الفعلين (ذوق) و(مسّ) يكون للإشارة إلى سرعة غرورهم وسرعة مكرمهم، وهذا ما يفهم من سياق النصّ القرآني، إذ صرّح النصّ بأن الله أسرع مكرّاً منهم بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ (يونس/٢١)، أي: أسرع جزاء على المكر؛ فجاء بصيغة (أفعل) من الفعل (سرع) للدلالة على أنه لا مقارنة ولا تفضيل بين مكرمهم، ومكر الله بإزالة مكرمهم، ويلمح هذا المعنى من استعمال الفعلين السابقين؛ إذ يفهم منهما أنهم بمجرد اختبار الرحمة وذوقها يصيبهم الغرور والمكر، وبمجرد مسّهم الضر يصيبهم اليأس. فكان استعمال اللفظين مطابقاً لحالهم من جهة، و مناسباً لاستعمال صيغة (أسرع) من جهة أخرى.

ويدلّ على سرعة مكرمهم وإنكارهم عنصر سياقي آخر وهو استعمال (إذا) الفجائية التي تدل على السرعة والمباغته؛ قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): ((فإن قلت: ما وصفهم بسرعة المكر، فكيف صحّ قوله أَسْرَعُ مَكْرًا؟ قلت: بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة،))^(٦٠) فضلاً عن أن المعنى العام للجذر (ذوق) وهو اختبار الشيء يمكن أن يعطي دلالة على أن الرحمة المقصودة في النصّ القرآني لم تكن قد أصابتهم قبلاً ولم يختبروها فعبر بالجذر (ذوق) للإشارة إلى انقطاعهم عن الرحمة إلا أنّهم مع هذا الانقطاع كانوا يمكرون وينكرون فضل الله بعد ما جرّبوا تلك الرحمة وذاقوها.

وكذلك قوله تعالى: ((وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَّاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم/٣٣)؛ إذ ((إنّه في الموردين - مورد سلب النعمة بعد إسباغها ومورد إسباغ النعمة بعد سلبها- أشير بكلمة (أذقنا) المشتقة من (الإذاقة) ويراد بها أن نفوس هؤلاء المشركين ضعيفة إلى درجة أنّهم لو أعطوا نعمة قليلة ثمّ سلبت منهم يضجرون وييأسون،

كما أنهم إذا ذاقوا نعمة بعد شدة يفرحون ويغترّون بها^(٦١)، فهم إلى درجة من السطحية والغباء والتعصب والتقليد الأعمى لأسلافهم المشركين، بحيث أنه بمجرد انتهاء المشكلة وهبوب نسيم الرحمة الالهية يمكرون^(٦٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْنَهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ {هود/١٠}، فهذه الآية هي الأخرى من تلك الآيات التي جاءت لبيان حالة الانسان وسرعة يأسه وغروره ومكره إلا أنها كانت أخص من الآيات السابقة التي ذكرت في سياقها كلمتي (الرحمة)، و(الناس)؛ إذ ذكرت هذه الآية جزءا من الرحمة وهو كلمة(نعماء) والنعماء هي نوع من النعمة فهي النعمة الظاهرة وذلك أنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة مثل الحُمراء والبيضاء والنعمة قد تكون خافية فلا تسمى نعماء^(٦٣)؛ فالنعماء إنعام يظهر أثره على صاحبه والضراء مضرة تظهر الحال بها^(٦٤)، والنعماء أخص من الرحمة التي ذكرت في الآيات السالفة لأنها عامة شاملة لكل معاني اللطف الالهي.

فضلاً عن أن النعماء تشمل الصحة والمال ونحو ذلك، والضراء من الضر وهو أيضا شامل، ويكثر استعمال كلمة (الضراء) فيما يخص البدن^(٦٥)، وذكرت الهاء كناية عن الانسان الذي مضى ذكره في سياق السورة، وهو أخص من كلمة (الناس) في الآيات السالفة^(٦٦). وقد ذكر بعض المفسرين أن في لفظ الإنسان في هذه الآية قولين^(٦٧):

الأول: أن المراد منه مطلق الإنسان ويدل عليه أمور متعددة؛ وهي:

١- أن السياق القرآني استثنى منه قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ {هود/١١}، وفي الاستثناء دلالة على أن الإنسان المذكور في هذه الآية داخل فيه المؤمن والكافر وهو مطلق الانسان.

٢- أن هذه الآية موافقة على هذا التقرير في وصف الانسان لقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ {العصر/١-٣}، وموافقة أيضا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٣﴾﴾ {المعارج/١٩-٢١}

٣- أن مزاج الإنسان مجبول على الضعف والعجز. وقيل في تفسير هذه الآية: يا ابن آدم إذا نزلت لك نعمة من الله فأنت كفور، فإذا نزلت منك فيؤس قنوط. والآخر: أن المراد منه الكافر، ويدل على ذلك أمور، هي:

١- أن الأصل في المفرد المحلى بالألف واللام أن يحمل على المعهود السابق لولا المانع، وهاهنا لا مانع فوجب حمله عليه، والمعهود السابق في السياق القرآني هو الكافر المذكور في الآية المتقدمة.

٢- أن الصفات المذكورة للإنسان في هذه الآية لا تليق إلا بالكافر؛ لأن القرآن الكريم وصفه يؤوسا، وذلك من صفات الكافر التي ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَنَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ {يوسف/٨٧}، ووصفه أيضا بكونه كفورا، وهو تصريح بالكفر ووصفه أيضا بأنه عند وجدان الراحة يقول: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ {هود/١٠}، ثم أوجب أصحاب هذا القول أن يحمل الاستثناء المذكور في هذه الآية على الاستثناء المنقطع حتى لا تلزما هذه المحذورات.

وجاء الجذر (ذوق) ليبين أن الإنسان بإصابته أقل القليل من الخيرات العاجلة يقع في التمرد والطغيان، وبإدراك أقل القليل من المحنة والبلية يقع في اليأس والقنوط والكفران، وذلك المقدار خير قليل ثم إنه في سرعة الزوال يشبه أحلام النائمين وخیالات الموسوسين، ومع ذلك فإن الإنسان لا طاقة له بتحملها ولا صبر له على الإتيان بالطريق الحسن معها^(٦٨).

فعبّر بفعل الإذاقة للدلالة على سرعة زوال النعم، وذلك أنه في مناسبة بيان الحالات النفسية ونقاط الضعف في أخلاق هؤلاء الأفراد التي تجبر الإنسان إلى هاوية الظلام والفساد، وأول صفة تذكر لهؤلاء هي السخرية من الحقائق وعدم الاكتراث بها^(٦٩). فاستعمل الإذاقة في الرحمة تنبيها على أن الإنسان بأدنى ما يعطى من النعمة يأشر ويبطر، إشارة إلى قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ {العلق/٦-٧}، وعبر عن ملازمة الضرر له بالمرس مناسبة للتعبير في جانب النعماء بالإذاقة فإن كليهما لأدنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة كما تقدم توضيح ذلك^(٧٠).

وحرر بنا أن نسأل: ما العلاقة بين المعنى المعجمي للجذر (ذوق) ومعناه في السياق القرآني في آيات الرحمة؟

نقول: إن أغلب الآيات القرآنية التي جاء بها الجذر (ذوق) في سياق الرحمة واللطف الإلهي جاءت لتبين حالة الإنسان في المكر والخديعة؛ ذلك الإنسان الذي يتغير حاله من حال إلى حال بمجرد اختبار النعمة، كما أن الذوق كشف لنا عن حالة الإنسان، إذ بينت النصوص القرآنية حالته من الكفر واليأس والشرك والقنوط والتشكيك بيوم القيامة والغرور بعد ذوقه الرحمة التي تلت الضرر، فالمعنى العام للجذر (ذوق) هو الاختبار والتجريب إلا أن بعض المفسرين خصصه بالرزق والاصابة، وهنا نشير إلى أن الجذر (ذوق) في سياق الرحمة لا يمكن أن يفسر بغيره من الأفعال

على المستوى العام، فهو بمعنى الاصابة من جهة، وبمعنى الرزق من جهة أخرى، وبمعنى السرعة من ثالثة، فجاء ليحمل كل المعاني السياقية التي أوضحناها سلفاً؛ ولم يكن يختص بدلالة أي من هذه الأفعال دون غيره.

وهنا نسأل أيضاً كيف دلّ الجذر (ذوق) على تلك المعاني جميعها في الآن نفسه؟ نقول: السياق القرآني الذي ورد فيه هو الذي منحه تلك المعاني؛ إذ جاء به في المواضع التي تكون أحوج لتبيين جميع تلك المعاني؛ فلم يصلح غيره من البدائل التي فسر بها لأداء وظيفته الدلالية.

ثالثاً: (ذوق) في سياق العذاب.

سبق وأشرنا إلى أنّ الجذر (ذوق) وتصريفاته يكثر استعماله في سياق العذاب في القرآن الكريم، وإلى هذا أشار كثير من المتقدمين^(٧١)، والعذاب (النكال والعقوبة، يقال: عَذَّبْتُهُ تعذيباً وعذاباً)^(٧٢)، وقد يخصّ القرآن الكريم العذاب في الدنيا، أو في الآخرة والأخير أكثر وروداً في الاستعمال القرآني، والمتتبع للاستعمال القرآني يجد أنه يصوّر الكافر في الآخرة يمرّ بمرحلتين؛ الأولى: رؤية العذاب قبل أن يعذب به، وغالباً ما يعبر القرآن الكريم عن هذه المهلة بالجذر (رأى) وتصريفاته، ويكثر معه مجيء ألفاظ الندم على لسان الكافرين على أعمالهم في الدنيا وكفرهم بمن أغواهم، كقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ {البقرة/١٦٦}. والأخرى: تصوّر تعرّف الكافر على العذاب في النار، وغالباً ما يعبر القرآن الكريم عن ذلك بالجذر (ذوق) وتصريفاته، كما في قوله تعالى: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَنَانِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ {النساء/٥٦}، وهي إشارة إلى دوام عذاب الآخرة وعدم انقطاعه، يقول الزمخشري: ((لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع، كقولك للعزير: أعزّك الله، أي أدامك على عزّك وزادك فيه))^(٧٣)، فالتصريح بحرق الجلود وذوق العذاب والشعور به، وهي استعارة متناهية في وصول الألم إلى الباطن^(٧٤)، فلا سبيل إلى الامتناع عنه والفرار من عذابه.

وعبر عن الشعور بالعذاب بالجذر (ذوق) دون غيره من الألفاظ المرادفة، كالفعل (يردّون) في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ {البقرة/٨٥}، أو عن طريق اسناد العذاب لهم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ {البقرة/١١٨}؛ لأنّ الذائق أشدّ إحساساً من المستمر، فكانهم في تعرضهم للعذاب كحال الذائق في إحساسه^(٧٥). فأتى بلفظ الذوق مع ما يشعرون به من عظم العذاب الذي نالوه، ليرسم إحساسهم به في كل حال كإحساس الذائق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الإحساس^(٧٦).

وقد يرد الجذر (ذوق) في سياق العذاب الدنيوي، لكنه إذا ما جاء للتعبير عن عذاب الدنيا يقترن بقريئة مانعة؛ لأنَّ الغالب مجيئه في الآخرة، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ﴾ {الأنفال/١٤}؛ فالآية في معرض الحديث عن نصر الله المؤمنين وخذلان المشركين، وجاء الذوق في الدنيا اشعاراً بالهزيمة؛ لأنَّ اسم الإشارة (ذلكم) يشار به إلى ما تقدم من العقاب والعذاب بالقتل والأسر وهذا كله في الدنيا، وأشار بالذوق إلى أن عذاب الدنيا عاجل يسير فضلاً عن العذاب المؤجل، فجاء ذوق العذاب تمهيداً لعذاب الآخرة (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ) ^(٧٧) فتكون الإشارة على هذا إلى العقاب العاجل الذي أصيبوا به، ويكون ذلك إشارة إلى العقاب الآجل الذي أعده الله لهم في الآخرة.

وفي سياق قرآني آخر نجد تصريحاً بذوق العذاب الدنيوي، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ {السجدة/٢١}؛ فالآية تشير إلى عذاب الدنيا بدلالة كلمة (الأدنى) التي تشير إلى مصائب الدنيا وأسقامها وبلاتها مما يبتلي الله بها العباد حتى يتوبوا ^(٧٨). وقد بين الماتريدي ^(٧٩) أنَّ ذوق العذاب في النص وإن كان في الدنيا لكنه ليس بعذاب الكفر؛ لأن عذاب الكفر يكون في الآخرة أبداً لا زوال فيه ولا انقطاع، وأما عذاب الدنيا فلعنادهم ولما يكون منهم من الجنايات في حال كفرهم؛ وهو تذكير بعذاب الآخرة الدائم وتمهيد له. فيظهر أن الجذر (ذوق) إذا ما جاء مع عذاب الدنيا تردفه قريئة للدلالة على ذلك، كما وإن الإشارة إلى عذاب الآخرة في آيات ذوق عذاب الدنيا تشير إلى اختصاص هذا الجذر بعذاب الآخرة، إذ جاء الفعل (ذوق) في سياق العذاب الدنيوي كتمهيد لما تشير له النصوص القرآنية من عذاب الآخرة.

ويبدو في النصوص القرآنية التي تصور ذوق العذاب في الآخرة تنوع ألفاظ العذاب وصفاته؛ العذاب الأليم والعذاب الغليظ وعذاب الخلد وعذاب النار، غير أنَّ لفظ النار هو الأبرز في تلك النصوص كونه مناسباً للمعنى اللغوي للجذر (ذوق)، وهو الاحساس بالشيء وتجربته، فالإحساس بالنار وتحسسها يناسب الفعل (ذوق) وتصريفاته، أمَّا ذوق السوء في قوله تعالى: ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ {النحل/٩٤}؛ فالمراد به ذوق العذاب أيضاً، وهذا العذاب يكون في الدنيا؛ بالقتل والقهر، ويكون في الآخرة بما صدوا الناس عن دين الله، واستبدلوا به الكفر بعد الإيمان ^(٨٠).

كما يظهر - في الغالب - أنَّ متذوقي العذاب يتصفون بأوصاف الكفر والفسق والكذب والظلم والتحريف، وكل موصوفٍ منهم تتاسبه صفة من صفات العذاب السابقة، ومن الجدير بالذكر أن

صيغة الأمر من الجذر (ذوق) هي الصيغة الغالبة في سياق العذاب، وغالباً ما يكون الفعل مسنداً إلى واو الجماعة غير أنه ورد بصيغة الأمر مسنداً إلى المفرد المذكر الموصوف بالعزيز والكرم، وذلك في قوله تعالى: **﴿ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾** {الدخان/٤٩}، وقيل إن المراد بالعزيز الكريم من كان يردد: أنا العزيز الكريم، وليس موجوداً من هو أعزّ منّي، وأنا المتعزز المتكرم، فيقال له في الآخرة: **﴿ذُوقْ هَذَا﴾** لتصغيره وإهانته، أي: ذق فإنك لست بعزيز ولا كريم، فلو كنت عزيزاً كريماً ما دخلت النار^(٨١)، فأنت عزيز كريم عند نفسك، وأنت الدليل المهان عند الله^(٨٢)، والنص في سياق بيان حال المولى الأثيم يوم القيامة، إذ يبدأ بذكر شجرة الزقوم بعد بيان كونها طعام الأثيم بطريقة مفزعة مرعبة؛ إذ إن هذا الطعام المغلي - وهو المهل - يغلي في البطون كغلي الحميم. وهذا حال الأثيم المتعالي على ربّه وعلى الرسول الأمين، وهذا أمر الله يصدر ليأخذه في عنف يليق بمقامه الكريم^(٨٣)، ومع كل ذلك العذاب من الشد والعتل والكي والشّي يسود التأنيب والترذيل والتصغير والتحقير، ويجدر بنا أن نذكر أنّ علامتي (العزيز، و الكريم) ليس فيهما من تحقير وتذليل لوحدهما، بل السياق هو الذي يستلزم أن تؤدي مقاصد الذلّ والتحقير؛ أي إنّ السامع يفهم من تلك العلامتين ما يخالف المعنى المعجمي، وهذا الفهم فرضه المقام على فهم السامع.

رابعاً: (ذوق) في سياق الجوع والخوف.

تبين لنا أنّ الجذر ذوق وتصريفاته قد يرد في القرآن الكريم بمعنى (الاحساس بالشئ وتجريبه) ولمّا كان الجوع من المحسوسات جاء الفعل (أذاق) في سياقه، غير أنّ المتنبع للاستعمال القرآني يلحظ تقديم الجوع على الخوف مع الفعل (أذاق)، كما في قوله تعالى: **﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** {النحل/١١٢} إذ قدّم الجوع، وعطف عليه الخوف، أمّا ذوق الخوف وحده فلم يرد في القرآن الكريم، وإذا ما تقدّم الخوف على الجوع ناسب ذلك التقديم الفعل (نبلونكم) كما في قوله تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾** {البقرة/١٥٥}، فكلّ من الجوع والخوف يمكن أن يكونا من جنس البلاء غير أن الخوف لا يناسب الذوق من حيث الاحساس به وتجريبه؛ وذلك أنّ **﴿(الْخَوْفُ لَا يُذَاقُ عَلَى الْحَقِيقَةِ)﴾**^(٨٤)، فقدّم الجوع على الخوف لمناسبة الفعل أذاق. وعلل الزمخشري مناسبة الذوق للجوع لشيوعه في البلايا والشدائد، فيقولون: ذاق فلان البؤس والضرر والجوع والعذاب وإيقاع الإذاعة على لباس الجوع والخوف؛ لأنّه أوقع عبارة ما يغشى منها ويلاصق، فكانه قيل: فأذاقه ما غشيه من الجوع والخوف^(٨٥).

وحري بنا أن نسأل عن علاقة (الجوع والخوف) بكلمة (لباس) وإضافته لهما، وهما لا يلبسان؟ والجواب عن ذلك أنّ القرآن الكريم أضافهما إلى اللباس لبيّن أن الله أذاق أهل هذه القرية جوعاً

خالط أذاه أجسامهم حتى كان لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها، فصار الجوع والخوف كالملبوس بإحاطته بهم^(٨٦)؛ لأنّ اللباس بمعناه المادي ما يستر وجوه الجواهر ومن ذلك تسمية الليل لباساً؛ لأنه يستر وجوه الأشياء؛ قال الزمخشري: ((وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس: ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث))^(٨٧)، والجوع يرفع الستر واللباس الذي كان قبله؛ لأنه إذا اشتد غير وجه صاحبه، ورفع سترة فكان بديلاً عن الستر كما هو اللباس، إذ ذكر أنه أصابهم جوع حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام^(٨٨). والقرآن الكريم يجسم التعبير عن الجوع والخوف، إذ يجعله لباساً وهم يذوقون هذا اللباس؛ لأنّ الذوق أعمق أثراً في الحس من مساس اللباس للجلد وأدق توضيحاً لحقيقته؛ لأنّ الحواس تضاعف مس الجوع والخوف لهم ولذعه وتأثيره وتغلغله في النفوس^(٨٩).

خامساً: (ذوق) في سياق الموت.

عبّر القرآن الكريم عن موت الإنسان بألفاظ متنوعة، وهذه الألفاظ تختلف من حيث الدلالة اختلافاً يناسب السياق الذي وردت فيه، إذ جاء الموت في الاستعمال القرآني فاعلاً لأفعال المجيء والحضور والوفاء والادراك، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ {الأنعام/٦١}، وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ {البقرة/١٨٠}، وقوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ {النساء/١٥}، وقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ {النساء/٧٨}، وإذا ما تتبعنا تلك الأفعال نجد أن كلّ فعلٍ أُسِنِدَ إلى الموت دون غيره من الأفعال لمناسبة السياق الذي ورد فيه.

كما يظهر أنّ الموت جاء فاعلاً لتلك الأفعال، ولم يردْ مفعولاً به إلا مع الجذر (ذوق) وتصريفاته، إذ جاء الموت مفعولاً به في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، الأول في مشاهد وصف الآخرة في وصف الجنة، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ {الدخان/٥٦} تصريحاً بأنّ أهل الجنة لا يذوقون الموت البتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا^(٩٠)؛ أي إنهم لا يحسون بالموت ولا يجربونه في غير الموتة الأولى، فاستعمل الفعل (يذوقون) منفياً للدلالة على عدم الاحساس والتجريب، ويبدو أنّ في هذه المسألة بعداً فلسفياً؛ إذ بيّن الرازي (ت بعد ٦٣٠هـ) أن الاستثناء في النص الكريم جاء في سياق وصف الجنة وعلى ذلك فإن الموتة الأولى في الجنة أيضاً، وأشار إلى أن حقيقة الجنة هي ابتهاج النفس بمعرفتها الله وبطاعتها له، فإذا كان كذلك فالإنسان الذي فاز بمعرفة الله في الدنيا فهو في الجنة وفي الآخرة أيضاً في الجنة، وعلى هذا تكون الموتة الأولى قد وقعت حين كان الإنسان في الجنة الحقيقية

التي هي جنة معرفة الله وطاعته، فجاء الاستثناء تنبيهاً على أن الجنة الحقيقية هي حصول طاعة الله لا الدار التي هي دار الأكل والشرب^(٩١). واستفهم عن ذلك قائلاً: ((أليس أن أهل النار أيضاً لا يموتون فلم بشر أهل الجنة بهذا مع أن أهل النار يشاركونهم فيه؟ والجواب: أن البشارة ما وقعت بدوام الحياة بل بدوام الحياة مع سابقة حصول تلك الخيرات والسعادات))^(٩٢).

أما الموضوعان الآخران ففي قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ {آل عمران/١٨٥، الأنبياء/٣٥}، إذ تكرر في القرآن الكريم التصريح بأن ذوق الموت شامل لكل نفس، وجاء الجذر (ذوق) بصيغة اسم الفاعل لا الفعل للدلالة على ثبات ذوق الموت لكل مخلوق تهديداً بالدنيا وتصغيراً لها بخلاف الجنة التي لا يذوقون فيها موتاً؛ لأن (كل) جمع في المعنى، وإن كان مفرداً في اللفظ^(٩٣)، وهي لفظ مستغرق لجميع ما يصلح له من غير حصر؛ إذ لا يوجد دليل فيه على الخصوص فهو على العموم، وصيغته صيغة العموم^(٩٤) تدل على أن كل ذي نفس يذوق الموت سواء أكان انساناً أم حيواناً أم نباتاً، فالموت هو المصير المحتوم الذي لا ريب فيه^(٩٥)، فالآية وعدٌ للمصدق ووعدٌ للمكذب^(٩٦)، ومن زاوية أخرى أن قارئ النص يفهم مقصد شمول الناس في محطة الموت من خلال المقام؛ لأن السياق يستلزم هذا الفهم دون غيره فضلاً عن البنية اللغوية للنص.

ويلحظ أن القرآن الكريم استعمل تصريفات الجذر (ذوق) استعمالاً متفاوتاً في سياقات الرحمة والعذاب والموت وغيرها، فصيغة (أذاق) هي الصيغة الغالبة في سياق الرحمة للدلالة على أن الرحمة من الله وهو الذي أنالها لهم، أما صيغة (ذوق) فلزمت سياق العذاب والجوع، لأن العذاب والجوع من أنفسهم فناسب ذلك مجيء الفعل مجزئاً، أما الصيغة الأسمية فوردت في سياق العذاب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ {الصافات/٣٨}، للدلالة على الثبات، أي إن ذوق العذاب كائن لا محالة، وفي سياق الموت جاء للتأكيد على أن هذا المذاق الذي هو الموت نهاية لكل نفس ولا فرار منه، وهو القاعدة التي تحكم الحياة وتنتهي به، وهذه هي السنة العامة الشاملة التي ليس لها استثناء.

الخاتمة

عُني هذا البحث بعرض الآيات القرآنية التي ورد فيها الجذر (ذوق) وتصريفاته، وبيّن أن النظام القرآني ينساق في ضوء نظام لغوي محكم يُعتمد في تحليله على الدلالة الصوتية والصرفية والتركيبية، وكل هذه المكونات يحكمها السياق، ويمكن إيجاز النتائج التي انتهى إليها البحث بما يأتي:

- أن المعجميين وظّفوا الجذر (ذوق) في سياقات متنوعة، وعرضوه فيها، وحاولوا في كلِّ سياق أن يحددوا المعنى المعجمي له، فهو بإطاره المعجمي العام بمعنى (اختبر الشيء وامتحنه وجربّه) غير أن دلّالته في السياق قد تنحصر باللسان، وقد تتوسع تلك الدلالة لتشمل مقاصد أخرى يفرضها السياق لكنه يبقى موصولاً بمعناه العام.
- يعرض البحث رؤية سياقية جديدة في تفسير قصة آدم عليه السلام؛ إذ بين أن الجذر (ذوق) في النصوص القرآنية التي عرضت هذه القصة، وبعد تحليل العناصر السياقية، والعناصر المحيطة بالموقف الكلامي والسياق الذي ورد فيه يدلّ على ذوق العلم والمعرفة الدقيقة التي تشترك فيها الحواس المادية والمعنوية، ولم يكن المراد منه التطعم المادي، وأنَّ الشجرة هي العلم الذي نهيا عنه؛ إذ لا يكون نيله إلّا بعد السير في سلم التكامل، وأما السوءة فتعني الذنب؛ أي أنها نزعا لباس التقوى عندما استجابا لوسوسة الشيطان.
- استعمل القرآن الكريم تصريفات الجذر (ذوق) استعمالاً متفاوتاً في سياقات الرحمة والعلوم والعذاب والجوع والموت، فصيغة (أذاق) هي الصيغة الغالبة في سياق الرحمة للدلالة على أن الرحمة من الله وهو الذي أنالها لهم، أما صيغة (ذوق) فلزمت سياق العلوم والعذاب والجوع، لأنَّ العذاب والجوع من أنفسهم فناسب ذلك مجيء الفعل مجرداً، أما الصيغة الأسمية فوردت في سياق العذاب للدلالة على الثبات، وتكررت في سياق الموت للدلالة على ثبات ذوق الموت لكل مخلوق تهديداً بالدنيا وتصغيراً لها بخلاف الجنة التي صرّح القرآن الكريم بأنهم لا يذوقون فيها موتاً.
- أن القرآن الكريم يصوّر الكافر في الآخرة يمرّ بمرحلتين؛ الأولى: رؤية العذاب قبل أن يعذب به، وغالباً ما يعبر القرآن الكريم عن هذه المهلة بالجذر (رأى) وتصريفاته، والأخرى: تصوّر تعرّف الكافر على العذاب في النار، وغالباً ما يعبر القرآن الكريم عن ذلك بالجذر (ذوق) وتصريفاته،
- عبر القرآن الكريم عن الشعور بالعذاب بالجذر (ذوق) دون غيره من البدائل؛ لأنَّ الذائق أشدُّ إحساساً من المستمرّ، فكأنهم في تعرضهم للعذاب كحال الذائق في إحساسه، وغالباً ما يختص الجذر (ذوق) وتصريفاته في سياق عذاب الآخرة، وإذا ما جاء في سياق عذاب الدنيا يقترن بقرينة دالة عليه.
- تنوعت ألفاظ العذاب وصفاته في النصوص القرآنية التي صورت ذوق العذاب في الآخرة غير أن لفظ النار هو الأبرز في تلك النصوص كونه مناسباً للمعنى اللغوي للجذر (ذوق)، وهو الاحساس بالشيء وتجربته.
- أن القرآن الكريم يجسّم التعبير عن ذوق الجوع والخوف، إذ يجعله لباساً للكافرين، لأنَّ الذوق أعمق أثراً في الحسّ من مساس اللباس للجلد وأدقّ توضيحاً لحقيقته.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أثر السياق في توجيه المعنى في تفسير التحرير والتلوين، رسالة دكتوراة أجازت في جامعة عين شمس - كلية الألسن، الباحث: إبراهيم سيد أحمد، إشراف: أ.د. سعيد حسن بحيري، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

- الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: محمد نور الدين، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٩٩٩م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيرازي، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، إيران- قم، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن: بيان الحق النيسابوري، أبو القاسم محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين (ت بعد ٥٥٣هـ)، حقق ضمن رسالة جامعية أجازت في جامعة أم القرى: الباحثة: سعاد صالح، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- بحر العلوم: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٣٧٣هـ).
- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين من وزارة الإعلام في الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤-١٩٨٣م.
- تأويلات أهل السنة: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تقديم: الشيخ آغا برزك، دار احيا التراث العربي، (د.ت).
- تحرير المعنى السديد وتبوير العقل **الجديد من تفسير الكتاب المجيد**: ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ)، دار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- تفسير الراغب الأصفهاني: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت ٥٠٢هـ)، الجزء ٢،٣: من أول سورة آل عمران - وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشدي، دار الوطن - الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- التفسير الصافي: الفيض الكاشاني، موسى محسن، تصحيح وتقديم وتعليق: حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، ط٣، ١٤١٥هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (ت ٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن: السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- تهذيب اللغة: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تح: د. عبد السلام محمد هارون، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية، مطابع سجل العرب، القاهرة، (د. ت).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: احمد عبدالعليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ٢، ١٣٧٢هـ.
- الحجة للقراء السبعة: الفارسي، أبو علي، تح: د. بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: د. هادي نهر، دار الأمل، ط ١، إربد - الأردن، ٢٠٠٧ م.
- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق - دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: فايز الداية، دار الفكر، ط ٢، دمشق، ١٩٩٦ م.
- علم الدلالة: د. احمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- فتح البيان في مقاصد القرآن: البخاري، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢ هـ.
- القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان: الطباطبائي، السيد محمد حسين، دار الرسول الأكرم، ط ٢، ٢٠٠٧ م.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن الشيعي، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- اللباب في علوم الكتاب: الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، (ت بعد ٨٨٠هـ)، تح: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٨ م - ١٤١٩ هـ.
- لسان العرب: الأفرقي، جمال الدين بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ)، ط ٣، دار صادر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤ م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥ م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٣ م - ١٤١٣ هـ.
- المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم "العين" للخليل بن أحمد: عبد الله درويش، مكتبة الشباب.
- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، تح: الدكتور عبد الجليل عبده شبلي، عالم الكتب.

- معجم العين: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. (د.ت).
- معجم الفروق اللغوية: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٢هـ.
- الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ (المُجْلَدَانِ الثَّلَاثُ عَشَرَ والرَّابِعُ عَشَرَ): الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي القاسم (ت ٣٦٠هـ)، تح: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، (د.ت).
- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٦٩ هـ.
- مفاتيح الغيب: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.
- الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم إيران، (د.ت).
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السبزواري، السيد عبد الأعلى الموسوي، دار التفسير، ط٢، ٢٠٠٧ م.
- النكت والعيون: الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت).
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: القرطبي، أبو محمد مكي بن أبي طالب خُشُوش بن محمد المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- الوجوه والنظائر: العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

هوامش البحث:

(١) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٢٨٤-٢٨٥.

- (^٢) ينظر: المعاجم العربية: ١٠٢.
- (^٣) ينظر: علم الدلالة (أحمد مختار): ٧٢.
- (^٤) ينظر: الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: ٤٠.
- (^٥) ينظر: العين، وتهذيب اللغة، ولسان العرب: مادة (ذ و ق).
- (^٦) ينظر: تاج العروس: مادة (ذ و ق).
- (^٧) ينظر: العين، وتهذيب اللغة، والصاحح، ومقاييس اللغة، ولسان العرب: مادة (ذوق).
- (^٨) ينظر: تاج العروس: مادة (ذ و ق).
- (^٩) أخرجه الطبري في تفسيره: ١٣٨/١٥، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٧/٢٠ برواية: (إن الله لا يحب الذواقين، ولا الذواقات).
- (^{١٠}) ينظر: العين، وتهذيب اللغة، ولسان العرب: مادة (ذ و ق).
- (^{١١}) ينظر: لسان العرب: مادة (ذ و ق).
- (^{١٢}) ينظر: تاج العروس: مادة (ذ و ق).
- (^{١٣}) المعجم الكبير للطبراني: ١٥٥/٢٢.
- (^{١٤}) ينظر: أساس البلاغة، والنهاية في غريب الحديث والأثر: مادة (ذ و ق)، والحديث الشريف في دلائل النبوة: ٢٨٦/١، والفاائق في غريب الحديث: ٩٠/٢.
- (^{١٥}) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ولسان العرب: مادة (ذ و ق)، والحديث الشريف في مجمع بحار الأنوار: ٢٥٣/٢.
- (^{١٦}) الحديث في المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم): ٦٢/١.
- (^{١٧}) ينظر: تاج العروس: مادة (ذ و ق)، والحديث الشريف في المسند الصحيح المختصر: ٦٢/١، ومعجم ابن عساكر: ٩٠٤/٢.
- (^{١٨}) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب: مادة (ذ و ق).
- (^{١٩}) ينظر: تهذيب اللغة: مادة (ذ و ق)، والبيت من الوافر، وهو لنهشل بن حري في ديوانه: ١١٧.
- (^{٢٠}) البيت لتأبط شراً في المعجم المفصل في شواهد العربية: ١٩٧/٥.
- (^{٢١}) ينظر: تهذيب اللغة: مادة (ذ و ق).
- (^{٢٢}) ينظر: تهذيب اللغة، والصاحح، ولسان العرب: مادة (ذ و ق).
- (^{٢٣}) ينظر: تهذيب اللغة، وتاج العروس: مادة (ذ و ق).
- (^{٢٤}) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب: مادة (ذ و ق).
- (^{٢٥}) ينظر: الصاحح: مادة (ذ و ق).
- (^{٢٦}) ينظر: لسان العرب: مادة (ذ و ق).
- (^{٢٧}) ينظر: الصاحح، ولسان العرب: مادة (ذ و ق).
- (^{٢٨}) ينظر: تاج العروس: مادة (ذ و ق).
- (^{٢٩}) معجم اللغة العربية المعاصرة: مادة (ذ و ق).
- (^{٣٠}) تاج العروس: مادة (ذ و ق).

- (٣١) مقاييس اللغة: مادة (ذ و ق).
- (٣٢) ينظر: أثر السياق في توجيه المعنى في تفسير التحرير والتنوير: ٤١.
- (٣٣) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: ٢١٧-٢١٨.
- (٣٤) ينظر: جامع البيان: ٥١٧/١، وتفسير القرآن للسمعاني: ٦٨/١.
- (٣٥) ينظر: جامع البيان: ٥١٩/١، والكشاف: ٩٥/٢.
- (٣٦) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ٦٨/١.
- (٣٧) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١٤٥١/٥.
- (٣٨) ينظر: التفسير الصافي: ١٢٣/١.
- (٣٩) ينظر: القصص القرآنية وتأريخ الأنبياء في تفسير الميزان: ١٠٣.
- (٤٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٣/١-١٢٤.
- (٤١) معاني القرآن وأعرابه للزجاج: ٣٢٧/٢.
- (٤٢) تأويلات أهل السنة: ٣٧٧/٤.
- (٤٣) بحر العلوم: ٥٠٧/١.
- (٤٤) مجمع البيان: ٢٨٤/٣.
- (٤٥) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٦٧٤/٣.
- (٤٦) النكت والعيون: ٢١١/٢.
- (٤٧) ينظر: تفسير الأمثل: ٥٦٦/١٥.
- (٤٨) ينظر: النكت والعيون: ٤٢٩/٢، وزاد المسير في علم التفسير: ٣٢٣/٢.
- (٤٩) جامع البيان: ٤٩/١٥، وينظر: التحرير والتنوير: ١٣٢/١١.
- (٥٠) الكشف والبيان: ١٢٦/٥، وينظر: واللباب في علوم الكتاب: ٢٨٩/١٠، وزاد المسير: ٣٢٣/٢.
- (٥١) ينظر: مجمع البيان: ١٥٢/٥.
- (٥٢) ينظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٢، والكشاف عن غوامض التنزيل: ٣٣٧/٢، وزاد المسير: ٣٢٢/٢.
- (٥٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧/١٠.
- (٥٤) جامع البيان: ٤٩/١٥.
- (٥٥) بحر العلوم: ١٠٩/٢.
- (٥٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٣٠/١٧.
- (٥٧) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٣٦/٦.
- (٥٨) ينظر: الميزان: ١٧/١٠.
- (٥٩) ينظر: الأمثل: ٥٣١/١٢.
- (٦٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣٣٧/٢.
- (٦١) المصدر السابق: ٤٧٨/٦.
- (٦٢) ينظر: المصدر السابق: ٥٣١/١٢.
- (٦٣) ينظر: الفروق اللغوية: ١٩٧/١.
- (٦٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٢٢/١٧.
- (٦٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٥٣/٣.
- (٦٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٤٧/٥.

- (٦٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٨٩/٢.
- (٦٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٢٢/١٧.
- (٦٩) ينظر: الأمثل: ٤٧٨/٦.
- (٧٠) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٤٨/٦.
- (٧١) المفردات في غريب القرآن: ٣٣٢.
- (٧٢) ينظر: لسان العرب: مادة (عذب).
- (٧٣) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥٢٢/١.
- (٧٤) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ١٢٨٠/٣.
- (٧٥) ينظر: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن: ٥٥٩/١.
- (٧٦) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٩٠/١.
- (٧٧) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٤/٥.
- (٧٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٨٩/٢٠.
- (٧٩) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣٤١/٨.
- (٨٠) ينظر: المصدر السابق: ٥٦٧/٦.
- (٨١) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٢١٢/٩، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٧٥٥/١٠.
- (٨٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٧٥٧/١٠.
- (٨٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٢١٦/٥.
- (٨٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٦٥/١١.
- (٨٥) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٦٣٩/٢.
- (٨٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٣١١/١٧.
- (٨٧) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٦٣٩/٢.
- (٨٨) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٥٨٥/٦.
- (٨٩) ينظر: في ظلال القرآن: ٢١٩٩/٤.
- (٩٠) ينظر: معاني القرآن وإعراجه الزجاج: ٤٢٨/٤.
- (٩١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٦٦٦/٢٧.
- (٩٢) المصدر السابق: ٦٦٦/٢٧.
- (٩٣) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٤٣٨/٥.
- (٩٤) ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: ٤٦٦.
- (٩٥) ينظر: مواهب الرحمن: ١٤٠-١٥٠/٧.
- (٩٦) ينظر: تفسير الصافي: ٤٠٥/١.